

مكتب المهندس المعماري عبدالفتاح اصبيح

تصميم – إشراف - استشارات

نقابة المهندسين الأردنيين

شعبة الهندسة المعمارية

الأسبوع المعماري الرابع عشر/2011

" عمارة الصحراء "

إعداد المعماري عبد الفتاح درويش اصبيح

عمان من 13-16/12/2011

وادي صقره – شارع عرار – عمارة رقم 63 الطابق الثالث رقم 402 – ص . ب 17183 عمان 11195 الأردن

Email :adicec2000@yahoo.com

خلوي : 0795523086

عمارة الصحراء

مقدمة لابد منها

حين وصلتني الدعوة إلى المشاركة في الأسبوع المعماري الرابع عشر تحت عنوان " عمارة الصحراء" وتقديم أوراق عمل خاصة بذلك ، ارتحت كثيرا وأجابتي ضمناً على السؤال الرئيسي المجهول لبحث رسالة دكتوراه كنت بدأتها في عام 1986-1987 في الأكاديمية العلمية في بودابست / هنغاريا، وهو إمكانية توفير سكن كريم ذات مستوى متوسط –عالي نسبياً للفئات المتعلمة والمتقفة في المجتمع ممن اجتازوا المراحل العلمية –المعاهد المتوسطة و الثانوية العامة والجامعات . وقد كان السؤال الرئيسي كيفية توفر سكن جيد بمواصفات معقولة محاولة تخفيف التكلفة مع ظروف رواتب متدنية أو ما دون المتوسط لهذه الفئات مقارنة مع ارتفاع متطلبات الحياة .

ومع مرور الوقت منذ ذلك التاريخ توالى أحداث محلية هامة جدا وعالمية وعربية أثرت على الوضع الداخلي للأردن والدول العربية مثل أحداث الأردن عام 1989 وأحداث الخليج العربي ، أزمة الكويت وانعكاساتها الاقتصادية على الوضع الداخلي في الأردن ثم انهيار القطب الإشتراكي من المعادلات الدولية وبروز القطب الرأسمالي وانعكاسات ذلك على نمو وانتشار حركة رأس المال العالمي وفتح الطريق لبحرية الحركة بالعديد من الاتفاقيات الدولية ثم انتشار تكنولوجيا الإيصالات والتي حولت العالم إلى قرية صغيرة ،.....و إلخ

كل ذلك انعكس بشكل سلبي فقد أدى إلى ارتفاع الأسعار بصورة جنونية للأراضي والسكن والظروف المعيشية والتعليمية ، بحيث أن الراتب أو الدخل الفردي لهذه (المتعلمين من جميع الفئات العلمية) الفئة موضوع البحث لم يتحسن على الإطلاق بل تشير المؤشرات الإقتصادية إلى التراجع الملموس إلى الوراء نتيجة الفرق الهائل بين تكاليف الحياة / الإسكان ودخل المواطن في عام 2011 مثلا وهو ما يسمى علميا بالتضخم .

لذلك أرى أن المشكلة التي واجهتني خلال البحث عام 1986 هي نفسها قائمة عام 2011 بفارق اكبر وظروف أصعب ، حيث يطرح السؤال الحالي : متى سيتمكن الخريج الجامعي أو المهندس المعماري على سبيل المثال حديث التخرج من الحصول على سكن ملائم بمساحة 100م2 مثلا في مناطق مدينة عمان / حيث هذه الشقة تتراوح قيمتها ما بين 50000 – 100000 دينار حسب الموقع ونوع الحجر والتشطيبات ، وإذا ما توجه المشتري إلى احد البنوك للدعم المالي وتوفرت الشروط الملائمة لمتطلبات البنوك فإن هذا المبلغ يتضاعف بسبب فوائد البنوك والفترة الزمنية اللازمة للتسديد تتراوح ما بين 20-30 سنة علما بأنه راتبه 400 دينار او ما يزيد قليلا ؟ ويبقى سؤال هذه المقدمة مفتوحاً ويتطلب الإجابة عليه .

مدخل إلى عمارة الصحراء

يقينا منا نحن المعماريون ، أن هدف طرح موضوع الأسبوع المعماري الرابع عشر ، وهو "عمارة الصحراء" يرغب مناقشة وتسليط الضوء على محاولة الاستفادة من الأراضي الصحراوية من كافة المجالات المعمارية و البيئة و ترابط الإنسان مع هذه البيئة و موضوع إمكانية التكيف بالإضافة إلى الفوائد الاقتصادية لا سيما في بلد كالأردن الذي يمتاز بأن معظم أراضيه مصنفة أراضي صحراوية . و هذا الموضوع واسع جدا و متنوع و جميل في آن واحد لشمولية مفهوم العمارة و أهدافها و لا يمكن تدارس هذا الموضوع العميق بورقة عمل بسيطة إلا أنه يتوجب علينا بداية لإنجاح العمارة مهما كان نوعها و طرازها و حتى تلبي الهدف الاجتماعي و البيئي و الاقتصادي و الراحة التامة للسكان و تتكامل مع تراث الإنسان يجب البدء في بحث صفات و خصائص "عمارة الصحراء" وعلينا أن نجيب على أهم الأسئلة الرئيسية التي تحدد الهدف المنشود من هذا الموضوع :-

ا) هل هي (عمارة الصحراء) عملية تطوير معماري و اجتماعي لمناطق

سكنية صحراوية بها مجموعات اجتماعية ذات صفات متشابهة ؟

ب) هل المطلوب عملية إنشاء مجتمعات معمارية و اجتماعية لفئات من مناطق

الحضر /المدن / لتوطينها في أماكن صحراوية مستقلة و جديدة تماما ؟

ج) هل هي عملية دمج اجتماعي بيئي سكاني بين مجتمعات صحراوية قائمة

وسكان قادمون من المدن الأخرى و القرى ذو العادات و التقاليد المختلفة

تماما , و بالتالي إمكانية تهجين مجتمعات جديدة ؟

د) هل التوجه لإنشاء مدن حديثة متطورة في كافة مناحي الحياة حيث لا بد من

توفير وسائل الرفاهية وأدوات التكنولوجيا التي تتميز بها المدن الحديثة؟

ه) هل هي نتيجة حتمية لامتداد المدينة عمرانيا نتيجة صعوبة الحصول على

سكن ملائم للعديد من فئات المجتمع , و بالتالي نحن نتحدث عن "تمدن

الصحراء" و ليس تصحر المدن او الريف ؟

و) و أخيرا هل هذه العمارة تخص نوعا محددًا من الاستعمالات أو التجمعات

العملية مثلا منطقة صناعية أو زراعية أو سياحية أو غير ذلك؟

(ز) أم هو تغزل عام في جمال الصحراء بشكل عام و عناصرها الجميلة مثل

جبالها الرملية و شمسها الدافئة شتاء و الحارة صيفا ...الخ؟

من الطبيعي أن كل سؤال من هذه الأسئلة يتطلب جوابا واضحا و تحديدا صريحا
للغاية المنشودة و الحجم الفعلي لهذا التجمع أو المدينة و ذلك حتى يتسنى لنا تحديد
الصفات و الخصائص التي ستساعدنا على إيجاد الحلول المثالية و المتقدمة بأفضل
الأشكال و الحلول المعمارية و الاجتماعية و البيئية.

لذلك علينا الإشارة إلى بعض البنود التي يجب أن تشملها الدراسة الأولية لأي موقع مشروع
معماري و بناء على فرضية النية لإنشاء مجمعات معمارية جديدة فلا بد من البدء في تحديد
أولي لكافة عناصر المشروع العامة بما فيها البنية التحتية والاتصالات والمواصلات وتوزيع
عناصر المدينة الأساسية (Concept) ، ومنها ما يلي :

1 (تحديد موقع المدينة الصحراوية من ناحية الموقع العام .

2)دراسة المواصلات العامة الرئيسية التي تربطها بالعاصمة و المدن الرئيسية الأخرى .

3) تحديد المواقع الصناعية ، وربطها بالطرق الصناعية والخدمات الخاصة بها مثل: الكهرباء

الصناعية وشروط البيئة والتنقلات .

4) تحديد المناطق السكنية بأقسامها المختلفة مثل اسكانات عامة ، عمارات سكنيه ، وفلل عامة

، وفلل خاصة .

5) تحديد المناطق التجارية الرئيسية منها والفرعية .

6) تحديد المناطق الخدمائية مثل : رياض الأطفال ، المدارس ، الجامعات ، العيادات الطبية

والمستشفيات ، والأسواق الخاصة.

7) تشمل المناطق الترفيهية مثل الحدائق وملاعب الأطفال والأندية ، وملاعب الرياضة

المتنوعة ومباني المسارح والمراكز الثقافية ،،،،، إلخ .

8) تحديد المناطق الحرجية (الغابات) حول المدن ، من أجل العمل على تلطيف الأجواء البيئية

في هذه المناطق.

9) تحديد مراكز استخدام الطاقة الشمسية والحرارية المتوفرة في هذه المناطق من أجل

استغلالها في توفير المياه الساخنة والطاقة الكهربائية .

10) ما يتطلب من أجل إنشاء بنية تحتية متطورة تشمل كافة الخدمات مثل : المياه، الصرف

الصحي ، الطرق الحضارية و المتطورة وخطوط الإتصالات مثل : الإنترنت والهاتف

والخلايا الخلية التي تعمل على تزويد خدمات شركات الاتصال للجهاز المحمولة للأفراد

،،،،، إلخ .

ومع كل ما تقدم ذكره أعتقد أن المطلوب هنا في هذه المرحلة ليس الخوض في

التفاصيل وإنما استعراض والتركيز على المدن المعمارية في المناطق الصحراوية والعمل

على استنتاج الفوائد الملموسة و استثمارها لصالح سكانها لما فيه تطوير مبدأ المدينة المعمارية

الصحراوية وانعكاساتها على بنية البلد في كافة المجالات .

ومن هذه الفوائد الأولية ما يلي :

(1) من المعروف أن المناطق الصحراوية في الأردن تشكل النسبة الكبرى من المساحة الإجمالية وهي الأقل استغلالاً أو استثماراً بالمعنى الفعلي .

(2) إن هذه المناطق الصحراوية قريبة جداً من المدن ، الرئيسية والطرق الخارجية التي تربط أنحاء البلد بعضها البعض وتربط البلد بالدول الأخرى المجاورة .

(3) إن الأراضي الصحراوية رخيصة التكاليف ومعظمها ملك للدولة وبالتالي فإن الدولة إذا ما ساهمت في تقديم هذه الأراضي لهذه الغاية بأسعار شبه مجانية فإن سعر تكلفه الأرض المخصصة للمدينة الصحراوية سيكون رخيص التكاليف و في متناول هذه الفئة من السكان مما يخفف العبء عن المواطن .

(4) وإذا ما ساهمت المؤسسات المعنية مثل البلديات بإعفاء المباني من رسوم التراخيص فإن ذلك يعني تكاليف أقل .

(5) بالإضافة الى توفير فرص عمل لآلاف الشباب في التجمع الصحراوي الواحد .

(6) استثمار أراضي جديدة في الصحراء في عدة أماكن يفسح المجال إلى انخفاض في أسعار الأراضي وتكلفه البناء نسبياً بمعنى عدم التمرکز في مقر واحد .

إن نجاح هذا المشروع الإسكاني الصحراوي ، يفسح المجال إلى الانتشار المتعدد في مناطق عديدة ويخلق الفرص الحقيقية للعمل والإقامة لآلاف الشباب ، ويخفف الضغط والعبء عن المدن الكبيرة مثل مدينة عمان العاصمة . خاصة إذا ما توفرت المطارات والقطارات المحلية لتسهيل المواصلات والانتقال إلى المدن المتنوعة .

هذا النجاح المنشود **يتطلب** أولاً وقبل كل شيء :

تجهيز الدراسات الاقتصادية والفنية والمخططات التفصيلية اللازمة وعمل

برامج مرحلية لتنفيذ المشروع بالإضافة إلى المقترحات التالية :

(1) تقديم الدعم الرئيسي من صناديق – خزينة الدولة – وبشكل مخصص لهذه الغاية

سواء تغطية سعر الأرض او تكلفة البنية التحتية .

(2) ترتيب قروض محلية أو دولية خاصة لهذا الموضوع تحديداً ، يمكن تسديد هذه

القروض بالمشاركة الرمزية من قبل الجميع ، مثل فواتير الكهرباء ، والمياه ،

ورسوم الترخيص ورسوم رخص المهن ، وتسهيلات دائرة الأراضي والمساحة

،، الخ .

(3) مساعدات دولية ، من خلال مؤسسات عالمية ، مثل : الأمم المتحدة أو دول مانحة

مثل الإتحاد الأوروبي .

(4) توفير كوادر من الشباب المتعلم والواعي ، والمؤتمن على إدارة هذه المشاريع

وبعيدا عن السوق الحر الذي يفسح المجال للمستثمرين بشراء هذه الأراضي ثم

إعادة بيعها بأسعار عالية جدا وعلى حساب المواطن مما يؤدي بالضرورة إلى فشل

المشروع و هدر المال العام والعودة إلى نقطه البداية .

صفات و خصائص عمارة الصحراء

و حيث أن الموضوع مدار البحث هو بحث معماري عام و يفتقد تحديد المهمة الرئيسية حسب الأسئلة أعلاه و لا مجال للخوض في تفاصيله هنا فإنني سأحاول اختيار البندين (د) و (هـ) للمرور على ذكر بعض التفاصيل و الخصائص والأسباب الموجبة لموضوع تمدد المدن نحو الصحراء أو إنشاء مدن عصرية جديدة .

كما هو معروف في الأردن فإن الظروف الحالية السائدة تشير إلى ارتفاع أسعار الأراضي بشكل يفوق قدرات معظم السكان خاصة فئة الشباب على التملك كذلك فإن ارتفاع تكلفة مواد البناء بمختلف أنواعها و العمالة سواء المحلية منها أو الأجنبية بالإضافة إلى الأرباح الهائلة التي يرغب في جنيها المستثمر الرأسمالي و شركات التمويل و البنوك أدت كلها إلى ارتفاع سعر الشقق و الأراضي في آن واحد مما أضعف القدرات الشرائية للمواطن المحلي و بالتحديد عنصر الشباب منه للحصول على السكن الذي يطمح إليه و لم شمل عائلته مما خلق حالة من اليأس أدت به إما إلى هجرة الكفاءات إلى الخارج للبحث عن دخل مادي أفضل أو إلى البحث عن فرص بديلة لأراضي رخيصة خارج المدن و القرى ثم البحث عن وسائل و مواد بناء بديلة عن المواد المرتفعة .

و يشعر المواطن المقيم في الأردن التوجه العام نحو الأراضي الموجودة خارج المدن و تقع على حواف الصحراء مثل مناطق جنوب مطار الملكة علياء أو المناطق التي تقع ما بين عمان و العقبة مثل منطقة القويرة و ارتفاع أسعارها وليس آخرا منطقة المفرق و الزرقاء الخ و قد ساعدت الحكومة بشكل ملموس على زيادة النشاط في هذا الاتجاه بطرق مختلفة منها تسمية المناطق بمسميات متعددة مثل " مناطق صناعية و مناطق استثمارية ,... " . و قد نشط القطاع الخاص و قطاع المستثمرين في ذلك بعض الشيء إلا إن ذلك ساهم في ارتفاع أسعار

الأراضي و لم يتمكن من إنشاء التجمعات المعمارية لا لفئة الشباب المحتاح فعلا للسكن و لا للأغنياء الذين بإمكانهم شراء القصور و الشقق الثمينة في المدن الرئيسية و أعتقد أن الهدف لم يكن " حل مشاكل المجتمع موضوع البحث". لذلك أدعو و حتى تتحقق الاستفادة من الأراضي الصحراوية بالشكل الأمثل لغايتنا موضوع البحث إلى تحديد برنامج مدروس تماما من كافة جوانبه لا يسمح بارتفاع أسعار الأراضي الصحراوية موضوع تبرع الدولة حتى نتمكن من بناء المدينة المعمارية المتطورة في صحراء الأردن الجميلة لشبابنا و تأمين مستقبلهم.

عناصر العمارة الصحراوية

لا شك أننا عندما نبحث إمكانية إنشاء تجمعات مدنية تلبي متطلبات فئة اجتماعية معينة علينا أن نعي جيدا حديثنا عن تكوين مجتمع حضاري متكامل يلبي احتياجات و رغبات كافة فئات المجتمع و حتى يتحقق هذا الهدف لا بد من البدء في تمحيص عناصر العمارة الصحراوية و هي كما يلي :-

1) طبيعة الصحراء و أثرها على العمارة

إن الطبيعة الخلابة التي تمتاز بها الصحراء الأردنية و العربية بجمالها و طبيعتها الحارة صيفا و الباردة شتاء خاصة ليلا مع جبالها الرملية الدافئة لتعطي انطباعا مميزا فريدا للسكان المحليين أو الضيوف الأجانب و نرى تجربة وادي رم في الأردن على سبيل المثال كيف تشهد اندفاع آلاف من الزوار لمشاهدة غروب الشمس و تسلق الجبال الرملية و ممارسة العديد من النشاطات الأخرى مثل ركوب الجمال و الاستماع إلى بعض الموسيقى الصحراوية/موسيقى البادية الخاصة بسكان الصحراء/ كل ذلك بالرغم من تدني مستوى الخدمات جميعها و المنفر منها أحيانا.

(2) مكونات الصحراء :

من مكونات الصحراء الجميلة جبالها الرملية المميزة و التي صفاتها الرياح المحلية و تؤثر بها باستمرار لتعطي أشكالاً متغيرة بين الفينة و الأخرى كذلك فإن الواحات الصحراوية بمياهها العذبة و أشجارها الرائعة و التي تعتبر مورداً لتوفير المياه للمسافرين و لحيوانات و سكان الصحراء المقيمين هناك أو في المناطق المجاورة . كذلك هناك العديد من الآثار الهامة التي تركتها الأقسام المختلفة على مدار التاريخ و خاصة الروماني و العربي الإسلامي و المسيحي . بالإضافة إلى الثروات الطبيعية الدفينة كالمياه في مناطق متعددة /حوض الديسي/ و الطبقات الصخرية و التي تستخدم في عمليات البناء مثل حجر رويشد أو حجر صحراء النقب و غيرهما من المعادن المتنوعة و هنا يجب ان لا ننسى كلا من النجوم التي تضيء الصحراء في الصيف و التي استعملها العرب في سفرياتهم /علم النجوم/ و كذلك و ليس آخرها الخيمة الصحراوية و القرية الطينية الصحراوية أو البيوت المتناثرة هنا و هناك, و هذه العناصر الثلاث تعتبر عناصر العمارة الرئيسية في السكن و الإقامة في الصحراء الحالة.

موجز الخاتمة

مما تقدم ذكره في وصف عناصر الصحراء و مكوناتها يتضح أن هناك العديد من المهام الصعبة للغاية و لكنها ليست بالمستحيلة من أجل تطوير إطار و هيكل مفهوم "العمارة الصحراوية", حتى يتوافق مع مفهوم العمارة الحديث الذي يعني بالضرورة استثمار علمي حقيقي لكافة لعناصر المتوافرة و المطلوبة حتى تتمكن من تلبية متطلبات العمارة و توفر الحياة الاجتماعية الكريمة و التوافق البيئي بين الساكن و

الصحراء الدافئة و متطلبات الحياة العصرية من أجل نجاح التجاذب ما بينهما و
بالتالي تحقيق الهدف المنشود .

كذلك يتضح مدى المهام الصعبة التي تترتب على كاهل الدولة بمؤسساتها المختلفة و
الجهات البحثية العلمية و الشعبة المعمارية و جمعية المعمارين الأردنيين و كافة من
لهم قدرة علمية على تطوير هذا المشروع . ثم توفير الدعم المالي الهائل المطلوب .
أتمنى لكم التوفيق و النجاح لما فيه دعم قطاعات الشباب و تطوير مستقبلهم .

و السلام عليكم

تم إعداد هذه الدراسة من قبل المعمار عبد الفتاح اصبيح

عمان في 2011/11/29

